تاريخ استقبال المقال:../../2018 تاريخ قبول نشر المقال:../../2018 تاريخ نشر المقال: 2018/03/31

العلاج بالطب الشعبي وانعكاساته على الوعي الصحي للمريض المصاب بمرض مزمن في الجزائر.

- دراسة حالة داء السكري، الضغط الدموي والقلب-

The treatment of folk medicine and its effects on the health awareness of the patient with chronic disease in Algeria.

-Case study of diabetes, blood pressure and heart.-

د. فاطمة مساني
جامعة البويرة، الجزائر
البريد الاليكتروني : *mesfatma2012@yahoo.fr*

ملخص:
نحاول من خلال هذه المقالة معالجة موضوع الطب الشعبي وانعكاساته على الوعي الصحي لدى المريض، حيث أن استعمال الأعشاب الطبية في المجتمع الجزائري انتشر بشكل كبير نتيجة عدة عوامل منها انتشار الأمراض المزمنة كداء السكري، الضغط الدموي والقلب. فالمريض المصاب بمرض مزمن ينتمي إلى مجتمع له عاداته وتقاليده، يؤثر ويتأثر بها، حيث أن هذه العادات والتقاليد في بعض الأحيان هي التي تحدد ممارساته وأنماط سلوكه اتجاه صحته ومرضه، لأن الثقافة السائدة في أي مجتمع تؤثر بشكل واضح في الكثير من النواحي الصحية وفي درجة الوعي الصحي للسكان.

الكلمات الدالة: الطب الشعبي؛ الأعشاب الطبية؛ المريض؛ الأمراض المزمنة.

Abstract :
This article tries through treated popular subject the medicine and his reversals on the healthy consciousness the enemy patient, since use of the herbs medical in the society Algerian big form spread in result of several laborers from her lasting spreading the illness as disease sugary, the blood pressure and the turning. So the stricken patient in lasting illness belongs to society for him his customs and his traditions, prefers and perceives in her, Hyth 'an this customs and the traditions in some times she which be specified practiced his and his manners of behavior is direction screamed him and his illness, for that common culture in any society perceived in wash form in a lot of the healthy aspects adequate healthy degree the consciousness for the inhabitants .

Keywords : *The folk medicine, the medical herbs, the patient, the lasting illness.*

مقدمة:

عرفت المجتمعات بصفة عامة انتقال وبائي، الانتقال من أمراض معدية إلى أمراض مزمنة، نتيجة التغير في النمط الحياتي للسكان، خاصة من ناحية التحضر وقلة النشاط الحركي، وهذا ما أثر على الصحة بشكل عام. فهذه الأمراض المزمنة لها خصوصيات معينة منها الديمومة والأزمان، هذا الأمر يدخل الفرد في نمط معيشي جديد، يفرض عليه تغيير بعض عاداته وممارساته الصحية وغيرها من الأمور الأخرى. وفي هذا المجال غالبا ما يكون إهمال المريض لصحته وعدم إتباعه لتعليمات الطبيب سببا من أسباب تدهور حالته الصحية. إذ أن المستشفيات والمراكز الصحية الجزائرية تكتظ بمرضى الأمراض المزمنة الذين يعانون من مضاعفات هذه الأمراض نتيجة عدم اتخاذ الاحتياطات الوقائية اللازمة وظاهرة المزج بين العلاج الرسمي والعلاج غير الرسمي، أي العلاج بالطب الشعبي والعلاج بالأدوية الكيماوية، حيث أن المتجول في الجزائر يرى بأن هناك محلات كثيرة تهتم ببيع الأعشاب الطبية، ويقصدها معظم المرضى، آملين في ذلك الشفاء. ولكن المشكل هنا يتمثل في غياب المعرفة الخاصة بمكونات هذه الأعشاب الطبية، كيفية استعمالها، حتى أنه في الجزائر البائعين لهذه الأعشاب لم يتكونوا في هذا النوع من الطب هذا من جهة البائعين، أما من جهة المرضى، فنجد الأغلبية منهم لا يعرف مخاطر استعمال هذه الأعشاب، أضرارها خاصة عند المزج بين النوعين من العلاج، التقليدي (الشعبي) والكيميائي.

1-الإطار المفاهيمي:

نحاول من خلال هذا العنصر التطرق إلى أهم المفاهيم المستعملة في هذه المقالة، والتي يمكن إدراجها على النحو التالي:

- **الصحة:** إن مفهوم الصحة من الناحية الطبية هو غياب المرض الظاهر كليا في جسم الإنسان. فحسب القاموس الطبي تعرف على أنها "حالة قيام الوظائف الجسمية بصفة عادية خارج وجود الأمراض". (Andre Domart et Jacques Bourneuf, 1983, P 819) فهي أيضا "حالة التوازن النسبي لوظائف الجسم الناتجة عن تكييفه مع عوامل البيئة التي يعيش فيها ذلك الجسم" (إحسان علي محاسنة، 1991، ص71). أما المنظمة العالمية للصحة فإنها تقدم تعريفا أكثر شمولا وإيجابا لمفهوم الصحة، حيث تعرفها على أنها "حالة من اكتمال السلامة بدنياً وعقلياً واجتماعياً، لا مجرّد انعدام المرض أو العجز" (http://www.who.int/suggestions/faq/ar). فحسب مفهوم المنظمة العالمية للصحة فإن الصحة لا تعني فقط عدم وجود المرض وإنما تشمل عدة أبعاد رئيسية وهي:

- البعد الجسمي أو البدني، تمتع الفرد بجسم سليم أي سلامة صحية جسمية.
- البعد الإجتماعي، التوافق الإجتماعي مع البيئة الإجتماعية المحيطة بالفرد.
- البعد النفسي والعقلي، تمتع الشخص بإستقرار نفسي وصحة عقلية سليمة.

- **المرض:** يعرف المرض في القاموس الطبي Petit Larousse de la médecine على أنه إعتلال أو عجز في الصحة، حيث أن هذه العلة تحمل عدة خصائص، أسباب، علامات وأعراض تدل على أن الجسم غير قادر على القيام بوظائفه، وهذه الأعراض تتطور (Andre Domart et Jacques Bourneuf, 1983 , P 555) . وبعبارة أخرى فإن المرض من الوجهة الطبية هو "الحالة التي يكون عليها الجسم عندما لا يستطيع أحد الأعضاء أو أجهزة أو مجموعة منها في تأدية وظيفتها الطبيعية سواء بالنقص" (سرور أسعد منصور، السنة غير مذكورة، ص69). وفي هذا الصدد يوجد نوعين من الأمراض، النوع الأول هو الأمراض غير المزمنة التي يمكن أن تكون معدية أو غير معدية. والنوع الثاني هو الأمراض المزمنة التي تتصف بالإستمرارية.

- **الوعي الصحي:** فكلمة وعي تدل على "إدراك الفرد لنفسه، وللبيئة المحيطة به، وهو على درجات من الوضوح والتعقيد، والوعي بهذا المعنى يتضمن إدراك الفرد لنفسه ولوظائفه العقلية والجسمية وإدراكه لخصائص العالم الخارجي وأخيرا إدراكه لنفسه بإعتباره عضو في جماعة"(إبراهيم مذكور، 1975، ص644). والوعي في الأصل لغة يقصد به "الحفظ والتعلم فوعي الحديث يعيه وعيا أو حفظه، وأذن واعية أي مدركة وصاغية" (عبد الرحمان عيسوي، 1993، ص145). وفي هذا السياق يرى عالم الإجتماع "جورج ميد G.H.Mead" بأن الوعي "ينشأ نتيجة الفعل الإجتماعي، إذ تمكن عملية التواصل من أن يعي الفرد لا غيره فقط أي الآخر. وأن إستدخال الآخر على هذا النحو لهو شرط ضروري في قيام الوعي، الذات تصبح موضوعا لذاتها" (إبراهيم مذكور،1975 ، ص645).

ففي معجم العلوم الإجتماعية للمؤلفين "ناتاليا يفريموفا وتوفيق سلوم" فإن "الوعي يدل على قدرة الإنسان على التمثل المثالي للواقع في الفكر، وتذهب الماركسية إلى أن الوعي صفة للمادة الرفيعة التنظيم، وأنه صورة ذاتية للعالم الموضوعي، وأنه مثالي في مقابل المادي وبالإتحاد معه، وبالمعنى الضيق يدل اللفظ على الصيغة العليا من النشاط النفسي لدى الإنسان الإجتماعي المتطور، والمرتبطة باللغة، ويتجلى في شكلين شخصي وإجتماعي"(ناتاليا يفريموفا، توفيق سلوم، 1992، ص403). أما الوعي الصحي فهو مدى إلمام الأفراد بالمعلومات الصحية وتحليهم بالمسؤولية إتجاه صحتهم وصحة غيرهم، أي مدى إدراكهم للمخاطر الصحية بمجرد الشعور بها.

- **السلوك الصحي:** يعرف السلوك بصفة عامة في معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية على أنه "أي فعل يستجيب به الكائن الحي برمته لموقف ما إستجابة واضحة للعيان وتكون عضلية أو عقلية أو هما معا وتترتب هذه الإستجابة على تجربته السابقة، وقد يستخدم لفظ السلوك للدلالة على هذه الإستجابة الظاهرة على العمليات الداخلية فيميز بين السلوك الصريح أو الظاهر والسلوك المستمر (...) ويطلق على السلوك مسلك أو سلوك موجه عندما يتخذ السلوك صفة خلفية أو يتسم بالتوجيه. وقد يكون السلوك فطريا وهو السلوك المشترك بين جميع أفراد النوع كما قد يكون مكتسبا وهو خاص بالفرد ولا يشمل حتما جميع أفراد النوع الواحد" (أحمد زكي بدوي، 1977، ص37). وأيضا هو "أي تغيير في مستوى نشاط الفرد يتم ردا على تنبهات مباشرة أو غير مباشرة واردة من بيئته"(إبراهيم مذكور، 1975، ص317). وبتعبير آخر هو "كل ما يصدر عن العضوية من إستجابات (ردود أفعال) للمثيرات بإختلاف مصدرها داخليا أو خارجيا" (جمال مثقال القاسم، 2000، ص14).

أما السلوك الصحي فهو "الطريقة التي يدرك بها الإنسان بعض الآلام الأولى للمرض، ويتعرف على التعب وعلى أية علامة أخرى للإعتلال الوظيفي للجسم، ويقيمها، ويتصرف حيالها" (علي المكاوي، 1996، ص 301)، أي أنه كل رد فعل إتجاه الصحة، العلاج ونوعية الممارسات الصحية التي يمارسها المرضى. فالسلوك المرضي "يتكون من مجموعة طرق يستطيع بها المريض أن يفهم أعراض مرضه ويقيمه ويقرر على أساسه نوع المساعدة التي يتطلبها، ولكن السلوك المرضي يمكن أو لا يمكن أن يقود إلى سلوك البحث عن المساعدة. فسلوك البحث عن المساعدة يحدث في شعور الإنسان بأعراض المرض" (نادية محمد السيد عمر، 1987، ص 163).

-**الممارسات العلاجية**: هي أهم الطرق العلاجية الشعبية التي ينتهجها الأفراد في علاج مرضهم بالإستناد على الطب الشعبي.

وتنقسم الممارسات العلاجية إلى نوعين هما:

- الممارسات العلاجية ذات الطبيعة السحرية: في هذا النوع من الممارسات يتم العلاج عن طريق إستخدام بعض الأشياء السحرية كالتعاويذ، الأحجبة...الخ. ويتم ذلك عن طريق معالجين مختصين في هذا المجال.

- الممارسات العلاجية المعتمدة على المواد الطبيعية: في هذا النوع من الممارسات يتم إستخدام المكونات الطبيعية والأعشاب الطبية في علاج بعض الأمراض، وهذا النوع يتم عن طريق معالج شعبي أو يتم في المنزل من طرف أفراد الأسرة (سعاد عثمان، نجوى عبد الحميد سواس وآخرون، 1999، ص71).

2- مفهوم الطب الشعبي:

يقصد بالطب الشعبي، الطب التقليدي الذي هو كل الأفكار التقليدية التي تعتمد على علاج المرض بطرق تقليدية بعيدة كل البعد عن العلاج الرسمي المعروف بالطب الحديث. وفي هذا الصدد فإن الطب الشعبي هو "جميع الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض والعلاج، وما يتصل بذلك من سلوك وممارسات تتعلق بالوقاية من المرض، ومعالجته بصرف النظر عن النسق الطبي الحديث" (نفس المرجع، ص 29). ومن واقع آخر فإن الطب الشعبي كان يمثل البدايات الأولى لمحاولة الإنسان علاج مرضه والتخفيف من آلامه.

أما المنظمة العالمية للصحة فتعرف الطب الشعبي على أنه "المعارف والمهارات والممارسات القائمة على النظريات والمعتقدات والخبرات الأصيلة التي تمتلكها مختلف الثقافات والتي تُستخدم للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو تشخيصها أو علاجها أو تحسين أحوال المصابين بها. ويشمل الطب التقليدي (الشعبي) طائفة واسعة من المعالجات والممارسات التي قد تختلف باختلاف البلدان والمناطق. ويُشار إلى هذا الطب، في بعض البلدان، بمصطلح "الطب البديل" أو "الطب التكميلي"". (منظمة الصحة العالمية، الطب الشعبي (التقليدي)).

وإستنادا على ما سبق ذكره يمكن التطرق للطب الشعبي من خلال جزأين هما:

- **الطب الشعبي الواقعي**: والذي يعتمد أساسا على استخدام أشياء طبيعية كالنباتات للتخلص من المرض، حيث أن هذا النوع من الطب يشمل "البرء من المرض أو تخفيف حدته ... ويركز هذا النوع في توجيه الإنسان إلى نباتات الأرض ومكوناتها علها تكون بلسما شافيا له" (الوحيشي أحمد بيري، عبد السلام بشير الدويبي، 1989، ص109). ويرتكز هذا النوع من الطب الشعبي على التعامل مع الواقع واللجوء إلى الطبيعة بإستخدام نباتات طبيعية. فهو ثقافة فرعية تقليدية متواصلة عبر الأجيال. وفي هذا الصدد الدكتور "حسان حتحوت" يشير إلى "أن الواحد منا لتناول الجرعة من الدواء فيحسبها بنت اليوم أو الأمس غير منتبه ولا عابئ بأنها حصاد تجربة إنسانية امتدت عشرات الألوف من السنين" (نفس المرجع، ص 109).

- **الطب الشعبي المعتمد على الشعوذة والغيبيات**: وبالنسبة للنوع الثاني من الطب الشعبي نجد الطب الذي يعتمد على الشعوذة والغيبيات ما وراء الطبيعة.

لقد أعطت المنظمة العالمية للصحة اهتمام بالطب الشعبي أو التقليدي من خلال الإستراتيجية التي وضعتها في هذا النوع من الطب والتي مفادها تطوير وتحسين استخدام هذا الطب في المستقبل، حيث نجد في هذا الصدد في تقريرها حول إستراتجية المنظمة العالمية للصحة في الطب التقليدي (الشعبي) 2014-2023 أهداف تتمثل فيما يلي: "1- الاستفادة من المساهمة المحتملة التي يوفرها الطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي لصحة الإنسان، وعافيته، والرعاية الصحية التي تركز على الإنسان، والتغطية الصحية الشاملة.

2- تعزيز الاستعمال المأمون والفعال للطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي، من خلال التشريعات والبحوث، وإدماج منتجات وممارسات وممارسي الطب التقليدي (الشعبي) والتكميلي في النظام الصحي، على النحو الملائم" (منظمة الصحة العالمية، إستراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب التقليدي (الشعبي) 2014-2023، ص 43). وهذا ما يفرض على البلدان الأعضاء في المنظمة أن يطوروا هذا النوع من الطب وإحداث له تشريعات وقوانين خاصة به. إلى جانب ذلك تطوير البحوث العلمية الخاصة بالطب التقليدي.

3- المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بالطب الشعبي:

إن الطب الشعبي عرف تطورا عبر الزمن، والآن أصبح ينافس الطب الرسمي، كما أن ثقافة اللجوء للطب التقليدي انتشرت بشكل واسع في أوساط السكان خاصة المرضى منهم الذين يئسوا من الشفاء. فالطب الشعبي هو "جزء هام من الخدمات الصحية، إلا أنه لا ينال حقه من الاهتمام والتقدير. وقد يطلق على الطب التقليدي (الشعبي) أو الطب غير التقليدي في بعض البلدان تعبير "الطب التكميلي". ولاستعمال الطب التقليدي (الشعبي) تاريخ طويل في صون الصحة، وفي الوقاية من الأمراض ومعالجتها، ولا سيما الأمراض المزمنة". (منظمة الصحة العالمية، إستراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب التقليدي (الشعبي) 2014-2023، ص 11).

وفي هذا الإطار توجد عدة مفاهيم ومصطلحات تدل على الطب التقليدي أو الشعبي والتي حددتها المنظمة العالمية للصحة على النحو التالي:

- **الطب التكميلي أو البديل:** يدل على الطب التقليدي (الشعبي)، ففي بعض البلدان أو الدول يطلق على الطب الشعبي مصطلح "الطب البديل" أو "الطب التكميلي". واللذان يشيران إلى مجموعة من ممارسات الرعاية والخدمة الصحية التي تندرج ضمن نظام الرعاية الصحية وأيضا لا ترتبط بتقاليد ذلك البلد.

-**الأدوية العشبية:** والتي تشمل أعشاب ومواد طبيعية أصلها الطبيعة، حيث يشمل هذا المصطلح الأعشاب الطبية، المواد العشبية والمستحضرات العشبية والمنتجات العشبية الجاهزة التي تحتوي على عناصر نباتية فاعلة أو على مواد أو تركيبات نباتية أخرى.

فالأعشاب هي المواد النباتية مثل الأوراق، الزهور، الفواكه، البذور، الجذوع والأجزاء النباتية الأخرى.....الخ، التي قد تكون في شكل مكتمل أو مجزّأ أو مسحوق.

أما المواد العشبية، فهي تشمل العصائر الطازجة والزيوت الثابتة والمساحيق العشبية، إلى جانب الأعشاب الطبية الجافة. في حين المستحضرات العشبية، فهي الأساس الذي يقوم عليه إعداد المنتجات العشبية الجاهزة. وفي هذا الإطار المستحضرات العشبية تشمل المواد العشبية المفتّتة أو المسحوقة أو مشتقات المواد العشبية وزيوتها الدهنية.

وبالنسبة للمواد العشبية الجاهزة، فهي المستحضرات العشبية المصنوعة من نبات واحد أو عدة نباتات (منظمة الصحة العالمية، الطب التقليدي (الشعبي): تعاريف).

ويمكن القول بأن الطب الشعبي عرف منذ بداية البشرية، منذ الأزل، استخدمه الإنسان لمعالجة الأمراض البسيطة والمستعصية، وتوارثه الأجيال عبر العصور، ولا يزالون يحافظون على هذا الإرث الثقافي.

4- ثقافة المجتمع في مجال الصحة وانعكاساتها على تغيير السلوك الصحي للأفراد

إن الثقافة تشمل مجموعة العناصر التي تمارس تأثيرها بوضوح على الصحة والمرض، وتحكم تصرفات الإنسان من خلال الموجهات السلوكية التي تتضمنها. فهي تتخلل معظم صور السلوك الإنساني في العادات الاجتماعية وعادات النظافة، التربية وتصورات الفرد على كل أعضاء جسمه، حيث يشغل كل عضو منها مكانة خاصة. والدليل على هذا فإن الثقافة هي التي تتدخل في حالة اللجوء إلى الخدمات الصحية الحديثة وفي حالات الأمراض (علي المكاوي، الجوانب الاجتماعية والثقافية للخدمة الصحية، 1988، ص ص 296-297.). وقد تلعب الثقافة "دور حيوي وهام خاصة في مسألة الصحة والمرض وفي العلاقة بين الطبيب والمريض، فالخلفية الثقافية لأي مريض تؤثر تأثيرا إيجابي وفعال في الاستجابة للمرض وفي علاقته مع الطبيب، حيث أن هذا الأخير يفترض أن هناك قيم معينة مرتبطة بالصحة والمرض إذا عرفنا المريض من خلال خلفيته الثقافية سيساعده هذا على سرعة فهم المريض للطبيب وبالتالي في سرعة العلاج" (نادية محمد السيد عمر، 1987، ص154). لذا يمكن القول بأن أنماط الثقافة وأساليب الحياة الاجتماعية تؤثر تأثيرا كبيرا في تصورنا للمرض واستجابتنا له وتعبيرنا عنه (علي المكاوي، علم الاجتماع الطبي، مدخل نظري، 1996، ص 432).

وفي هذا الصدد، فإن المريض إنسان ينتمي إلى جماعة وهو أيضا عنصر من هذا المجتمع يؤمن بتقاليد ويتطبع بطباعه، إنه ناقل التراث الاجتماعي، وأن له عادات وممارسات وأنماط من السلوك ذات صلة مباشرة بصحته. وعلى أساس ذلك فإن "الطبيب الذي ينظر إلى المريض على أنه حالة مرضية لا يمكنه أن يفهم المريض و قد يتعذر عليه أن يساعده وأن تدخل الطبيب لمعالجة المريض هو تدخل فني مصحوبا بفرض التدخل التثقيفي أيضا، إن الطبيب لا يشخص المرض أو يصف الدواء فحسب بل يقوم بتعليم المريض وأسرته سبب المرض وطبيعته وعن الإجراءات الواجب اتخاذها والنظام الواجب إتباعه لمكافحة المرض أو منعه عن باقي أفراد الأسرة وغيرهم".(نادية محمد السيد، 1987، ص 204). وعليه فإن الثقافة السائدة في أي مجتمع من المجتمعات والتي تشمل العادات والتقاليد تؤثر بشكل واضح في الكثير من النواحي الصحية، في درجة الوعي الصحي الوقائي وفي مواقف واتجاهات الأفراد نحو المرض وأساليب المعالجة وحتى في تغيير الممارسات الصحية. كما أن للعادات في الكثير من المظاهر الحياتية للأشخاص علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالصحة والمرض، وتتجلى هذه العلاقة في العادات الغذائية السيئة . ولا شك أن لكل مجتمع عاداته وتقاليده الراسخة التي تحكمه، البعض منها جيد والبعض الآخر يشكل عائقا اجتماعيا يمنع من الاستفادة من الخدمات الصحية، وهذا الأمر مرتبط بنوع التنشئة الاجتماعية التي تؤثر في المستوى الصحي.

وفي سياق الحديث، فإن العادات الغذائية السيئة، أسلوب الاستجابة للمرض وأساليب العلاج وغيرها من المكونات الثقافية هي من أهم الجوانب المؤثرة في صحة الأفراد. إذ تميل بعض الفئات إلى استخدام أساليب بدائية في مجال الرعاية الصحية ويقل لجوئهم إلى زيارة الطبيب والمستشفيات بينما يميل البعض الآخر إلى استخدام أساليب علمية متطورة. ويمكن من خلال الأساليب البدائية التي تستخدمها الشعوب المتخلفة في مجال علاج المرض ملاحظة ظاهرة انتشار ما يسمى بالطب الشعبي، حيث تحتوي الثقافات على كم هائل من المعلومات والممارسات المتعلقة برعاية المرض وعلاجهم بهذا النوع من الطب. ويتجلى هذا من خلال استعمال الوصفات التقليدية كالأعشاب الطبية التي يستعملها مرضى داء السكري كالمريوة وماء الخرشف المغلي . ونجد أن الفئات ذات المستويات التعليمية الدنيا هي الأكثر تصرفا بهذه الطرق وهي أقل وعيا بالمخاطر التي سوف تنجر عن الصحة، ومنه فإن "الجهل والأمية يكون سببا في عدم إتباع إرشادات الطبيب وتعليماته بشأن استعمال الدواء كميته وموعده" (الوحيشي أحمد بيري، عبد السلام بشير الدويبي،1989، ص 83). كما "تلعب العادات الغذائية دورا واضحا في تهديد الصحة العامة للمجتمعات التقليدية والمتقدمة على حد سواء، فالإكثار من السكريات والأسماك والنشويات يرتبط بقيم ثقافية وعادات غذائية في المجتمع(...) وبالتالي يستلزم الأمر فهم هذه العادات الغذائية والقيم الثقافية ومراعاتها عند إدخال برنامج صحي وتنفيذه والحرص على الأنساق بينها وبين العادات الغذائية الجديدة" (علي المكاوي، 1996، ص 439). وعلى هذا المنوال فإن أساليب التغذية لها تأثيرا كبيرا على الحالة الصحية للمريض. إذ أن إعداد الطعام والسلوك الغذائي في الأسرة هما مسائل تحددها المعايير الثقافية السائدة في المجتمع (محمد علي محمد، سناء الخولي وآخرون، 1983، ص 66). وقد تكون العادات، التقاليد والمعتقدات الصحية عائقا أمام تغيير الممارسات غير الصحية ونمط الحياة

خاصة في حالة الأمراض المزمنة التي تتطلب نمط معيشي معين يفرضه الطبيب على المريض كخطة علاجية. مثلا استعمال الطب الشعبي والبدائل العلاجية تعرقل عملية العلاج والوقاية من مضاعفات المرض المزمن. كما أن الأمثال الشعبية السائدة في المجتمع كالمثل القائل "اسأل المجرب ولا تسأل الطبيب" هو مثل يدل على عدم الاستفادة من الخدمات الصحية.

5- ممارسة الأعشاب الطبية وتأثيرها على الوعي الصحي للمريض المصاب بمرض مزمن:

إن المجتمع الجزائري مع التغير الذي عرفه، عرف مجموعة من الأمراض منها الأمراض المزمنة كداء السكري، الضغط الدموي والقلب. وصاحب هذه النقلة في الأمراض انتشار ظاهرة جديدة من جهة وتقليدية من جهة ثانية. وهي ظاهرة الطب الشعبي وممارسة الوصفات الشعبية التقليدية، حيث أصبح هذا الطب غير الرسمي يتماشى جنبا إلى جنب مع الطب الحديث. وفي هذا الصدد يتفق معظم الأطباء على خطورة استخدام هذا النوع من الطب في علاج الأمراض المزمنة خاصة عند المزج بين الدواء الكيميائي والأعشاب الطبية. واستنادا على ذلك، فإن المريض يحاول إنتاج ثقافة شعبية تقليدية يحافظ عليها دون المراعاة في أخطارها.

وللاقتراب أكثر من الموضوع نحاول في هذا العنصر التطرق إلى الدراسة التي قامت بها الباحثة نفسها حول "الثقافة الصحية لدى المرضى المصابين بالأمراض المزمنة في الجزائر" دراسة ميدانية لعينة من المرضى المصابين بداء السكري، الضغط الدموي والقلب بمستشفى بني مسوس مصلحتي الطب الداخلي وأمراض القلب، حيث تم انتقاء أفراد العينة عن طريق العينة القصدية، وذلك بتطبيق استمارة المقابلة على 300 مريض مصاب بداء السكري، الضغط الدموي والقلب، حيث تم الاستعانة بالمنهج الكمي وتقنياته الإحصائية المختلفة. (فاطمة مساني، 2009).

5-1- الإيمان بفعالية الطب الشعبي وعلاقته بالثقافة الصحية للمريض المصاب بمرض مزمن:

إن بعض الاعتقادات والأفكار السائدة في المجتمع وفي أوساط المرضى تقف كعائق أمام تحقيق الصحة المثالية للفرد، وأيضا تعتبر من أهم معوقات النسق الطبي، إحداث تنمية صحية في المجتمع وتوفر ثقافة صحية لدى المريض.

فالاعتقاد بفعالية الطب الشعبي هي مفاهيم راسخة في مخيلة المريض والتي تؤثر سلبا في تنفيذ نصائح وتعليمات الطبيب. وهذا ما لمسناه من مقابلاتنا للمرضى، حيث أن أغلبية المبحوثين غير المنفذين لتعليمات الطبيب يؤمنون بفعالية الطب الشعبي في علاج الأمراض منها المستعصية. فهذا الاعتقاد راجع إلى النتائج التي حققها هذا الطب في علاج الأمراض منها الأمراض التي عجز الطب على علاجها كأمراض السرطان، ويزيد إيمانهم واعتقادهم وتصورهم بنجاعة الطب الشعبي من خلال معايشتهم للواقع ومن خلال سرعته في تحقيق العلاج السريع مقارنة بالطب الحديث. وأيضا من خلال التقيد بالطب النبوي الذي كان شائعا في وقت النبي محمد ﷺ وغيره من الأنبياء. وفي خضم ذلك فإن الإيمان بالطب الشعبي يعرقل من نشر الثقافة الصحية وعلى التعاون مع الطبيب. وفي سياق هذا الحديث، فإن تغيير أفكار ومعتقدات الأفراد خاصة المرضى أصعب شيء يواجهه الأطباء في تعاملهم وعلاقاتهم معهم. فالمريض غالبا ما يرى بأن الطبيب لا يبحث عن مصلحته، فهو يكشف ويعطي النصائح دون أي مبالاة. فهذه التصورات التي يحملها الفرد حول الطبيب ودوره تعيق هذا الأخير على أدائه لمهنته.

ومن خلال الدراسة التي ذكرناها سابقا والتي قامت بها الباحثة، كشفت بأن فئة المبحوثين غير المنفذين لتعليمات الطبيب تقدر نسبتهم بـ 61.67 % من مجموع المبحوثين. وأن هذه النسبة مدعمة من طرف المبحوثين الأكثر إيمانا بفعالية الطب الشعبي بنسبة تقدر ب 63.64 % مقابل نسبة 36.36 % من المبحوثين لا ينفذون تعليمات الطبيب وهم يؤمنون بفعالية الطب الشعبي.

أما بالنسبة لفئة المبحوثين الذين لا يؤمنون بفعالية الطب الشعبي، نجد نسبة 58.87 % من المبحوثين لا ينفذون تعليمات الطبيب مقابل نسبة 41.13 % من المبحوثين ينفذون تعليمات الطبيب.

إن أغلبية المبحوثين الذين يؤمنون بفعالية الطب الشعبي يرجعون الأسباب الرئيسية إلى الفائدة والفعالية في علاج المرض المزمن والنتائج مضمونة من الدواء الكيميائي، حيث أن دواء الطبيب له مضاعفات خطيرة ممكن أن تؤدي إلى أمراض أخرى حسب تصريح المرضى كتصريح هذه المريضة "أنا دوا نتاع La tension دارلي مرض السكر أما دواء الأعشاب الطبية إذا ما نفعش ما يضرش". وتضيف أخرى "دوا العرب لا مانفعكش ما يضركش ماشي كيما دوا الطبيب". وغيرها من التصريحات الأخرى حول فعالية الطب الشعبي والتي نبرزها كما يلي:

- "ألقينا يشربوها جدودنا".
- "نوافقوا لأننا صبنا والدينا يوافقوا عليه".
- "كاين لي صابوا ويامنوا بيه".
- "الناس ملت من الدوا كاين الدوا لي يضر".
- "كاين لي صابوا عليه وكاين لي شادين فيه من زمان".
- "حاجة لي نعرفها نتامن بيها لأن لجداد عايشين بالتيزانا والعشب والشناوى وفي التلفاز.
- "الدوا غالي بزاف ما يقدرولوش".
- "بكري باش كنا نداوا كنا نداوا بالعشب".
- "دوا الطبيب مين يخدموه، أحيانا ما نعرفوش مليح لعشاب، دوا الطبيب مخدوم بالبيوشيمي ويضر".
- "لي برودوي شيمي ضروا الناس وحده، الظروف الاقتصادية كذلك تخليني نميل للعشاب".
- "سيدنا سليمان عالج بلعشاب، دوا الطبيب مصنوع بلعشاب".

نلاحظ من خلال التصريحات السابقة بأن مجموعة كبيرة من المرضى تؤمن بفعالية هذا الطب، إلا أن البعض الآخر منهم لم يجربه نتيجة عدة أسباب، ولكن فضولهم وحاجتهم تدفعهم للتجريب. وهذا ما صرح به بعض المرضى كقول هذا المريض: "قاع صابوا عليه أنا ما جربتش راني حب

نجرب". أما فئة أخرى من المبحوثين، فإنها غير راضية على استعمال هذا النوع من الطب. إذ ترى أن له خطورة على صحة الفرد. ويظهر ذلك من خلال قول هذا المريض: "دوا العشب لازم التعيار". ويضيف آخر على هذا القول: "الحيلة والتحرايميت بزاف لعشاب ينخافوا، كاين النية بكري نامنوا بيه والآن ماكاش النية، الخوف تولي في حاجة أخرى".

وفي هذا السياق، فإن المجتمع الجزائري عرف بعض الظواهر الدخيلة عليه أهمها شراء أعشاب طبية واستغلالها عند الضرورة، فأغلبية المرضى يلجئون إلى شراء أعشاب طبية لعلاج وإسعاف الحالات المرضية، حتى أن علاج الأمراض المزمنة بالأعشاب الطبية أصبح أكثر انتشارا بين أوساط المرضى. ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى الوضع المادي المنخفض للمريض وأيضا كره الدواء الكيميائي والأطباء، حيث كشفت هذه الدراسة على أن أغلبية المبحوثين لا تتوفر لديهم معلومات صحية حول مرضهم المزمن، وذلك بنسبة تقدر بـ 65.67 % من مجموع المبحوثين. وأن هذه النسبة مدعمة من طرف المبحوثين الذين يلجئون لشراء أعشاب طبية بنسبة 71.07 % مقابل نسبة 28.93% من المبحوثين تتوفر لديهم معلومات صحية أغلبها معلومات قليلة حول مرضهم أي نسبة 18.18% مقابل نسبة 10.74 % في صنف معلومات صحية ثرية.

وفي هذا المجال، نجد أن فئة المبحوثين الذين لا يشترون أعشاب طبية يتوزعون كما يلي: نسبة 62.01 % بالنسبة لفئة المبحوثين الذين لا تتوفر لديهم معلومات صحية مقابل نسبة 37.99 % من المبحوثين تتوفر لديهم معلومات صحية منها نسبة 21.79 % في صنف معلومات صحية قليلة حول المرض المزمن ونسبة 16.20 % في صنف معلومات ثرية حول المرض المزمن.

لقد أصبح المريض في الجزائر يشتري الأعشاب الطبية ويدخرها في منزله ويستعملها عند الحاجة، وهذا راجع إلى الإيمان بهذا الطب الشعبي، انخفاض الوعي الصحي لدى المريض وتدني مستواه المعيشي ودخله. وفي هذا الصدد، فإن الظروف المعيشية تكون سببا من أسباب لجوء المرضى لهذا النوع من العلاج، حيث تصرح مجموعة من المرضى على غلاء دواء الطبيب. وهذا كان سببا في اللجوء إلى الأعشاب الطبية. ويظهر ذلك من خلال التصريح التالي لمريضة: " ندير لعشاب نتاع بر لأن ما عنديش باش نروح للطبيب، غلا الدوا، مكاش لسورونس، مكاش الطبيب على برا".

وعليه فإن هذا التصرف يقلل من اكتساب الثقافة الصحية ويحدد من إلتماس الخدمة الصحية واستشارة الأطباء، لأن الطبيب له دور فعال في تنمية الوعي الصحي لدى المريض، وإذا تخلى المريض عن الخدمات الطبية فينعكس ذلك سلبا على صحته وعلى علاقته مع الطبيب التي ينتابها التوتر والصراع بسبب عدم تنفيذ نصائحه وتوصياته. ويمكن القول أن لجوء المرضى لهذا النوع راجع إلى غياب الوعي الصحي وقلة الثقافة الصحية لدى المريض الجزائري. وهذا ما صرح به بعض المرضى المعارضين لهذا النوع من العلاج.

كما كشفت الدراسة السابقة الذكر التي قامت بها الباحثة على أن نسبة كبيرة من المبحوثين يعالجون أمراضهم بالعلاج التقليدي بنسبة تقدر بـ 32 % من المجموع الكلي للمبحوثين. وهذه الفئة هي الأكثر تجريبا للأعشاب الطبية بنسبة تمثل 42.95 % مقابل نسبة 16.67 % من المبحوثين يجربون أعشاب طبية ويلجئون إلى الأطباء في حالة ظهور أمراض، لتعرف المراحل الأخرى المتبعة في حالة ظهور الأعراض المرضية تذبذبات في النسب، حيث نجد نسبة 16.03 % من المبحوثين يتجاهلون الأعراض المرضية قد جربوا أعشاب طبية، نسبة 5.13 % من المرضى يتأكدون من طبيعة المرض، نسبة 14.74 % من المبحوثين يتناولون أدوية دون استشارة طبية، نسبة 0.64 % من المبحوثين تناول أدوية وأعشاب طبية، نسبة 1.92 % من المبحوثين يرتاحون في حالة المرض، نسبة 1.92 % من المبحوثين الاستعانة بالصبر، الصلاة، الدعاء وقراءة القرآن ونسبة منعدمة في صنف المبحوثين الذين يلجئون إلى البكاء في حالة المرض.

وفي نفس السياق، نجد أن المبحوثين غير المجربين للأعشاب الطبية يتوزعون كما يلي:

نسبة 20.14 % من المبحوثين يعالجون مشاكلهم الصحية بالعلاج التقليدي مقابل نسبة 35.42 % من المبحوثين يلجئون إلى استشارة الأطباء في حالة ظهور الأعراض المرضية، نسبة 18.05% في صنف شرب دواء دون استشارة الطبيب، نسبة 15.28 % من أفراد العينة يتجاهلون أعراضهم المرضية، نسبة 5.56% من المبحوثين الذين يتأكدون من طبيعة المرض، نسبة 3.47 % من المبحوثين يرتاحون في حالة التعرض للمشاكل الصحية، نسبة 1.39 % من المبحوثين يلجئون إلى البكاء في حالة التعرض للمشاكل الصحية، ونسبة ضعيفة جدا من المبحوثين يلجئون إلى الدعاء، الصلاة، الصبر وقراءة القرآن في حالة التعرض للمرض وتمثل نسبة 0.69 % من المبحوثين الذين لم يجربوا الأعشاب الطبية.

ويمكن القول أن حتى في استخدام الأعشاب الطبية يجب أن يتحلى مستخدميه بثقافة حول استعمالها، من حيث الكميات والطريقة. وهذا ما صرح به أحد المرضى، حيث يقول مريض: "لعشاب ملاح، ولكن الواحد يعرف كيفا يخدمهم، لازم الواحد يكون علابالوا، لعشاب بالكيلات ماشي هكذاك". وفي هذا الصدد، فإن المرضى غالبا ما يلجئون إلى الأطباء في بداية الأمر، ثم ينتهي بهم المطاف خاصة في حالة الأمراض المزمنة إلى اللجوء إلى الطب الشعبي لعلهم يجدون الشفاء، وهذا ما صرح به المرضى في هذا الشأن، حيث نجد في هذا الصدد التصريحات التالية:

- "أكرهنا دوا الطبيب نروحوا لدوا العرب".
- عدم ثقة المريض في الطبيب، نبدلوا الطبا و نروحو للعشاب.
- عدم إفادة دوا الطبيب نروحوا للعشاب.
- الناس ديقوتات من الطبيب والسبيطار، لعشاب ساهل ومكاش تضياع الوقت.
- الناس كرهت من الطبيب كاين لعشاب لي يفيدوا.
- صبنا والدينا يداوو بهم نتبع والدينا بداو بلعشاب ينوضوا.

وعليه نستنتج من خلال المعطيات السابقة أن تجريب الأعشاب الطبية يحد من التماس الخدمة الصحية، حيث أن أغلبية المبحوثين جربوا منذ إصابتهم بالمرض المزمن الأعشاب الطبية وما زالوا يستعملونها عند تعرضهم للمرض. وهذا راجع إلى إيمانهم واعتقادهم بفعالية الطب الشعبي، حيث أن المريض في حالة الأمراض المزمنة غالبا ما يزاوج بين العلاج الحديث والعلاج التقليدي. ضنا بذلك أن العلاج التقليدي إذا لم يحقق نتائج علاجية فإنه لا يضر. وهناك اعتقاد وتصور شعبي عند المبحوثين هو أن الأدوية الكيميائية هي عبارة عن مستخلصات عشبية ونباتية، كتصريح

هذا المريض "الدوا مين مخدوم، مخدوم من العشب، بكري الطب كانوا يخدمو الدوا من العشب". وتضيف مريضة أخرى "ابن سينا كان يخدم الدوا من العشب". وفي نفس السياق، فإن اعتناق المرضى للطب الشعبي والأعشاب الطبية راجع إلى الإقتداء بالنبي محمد ﷺ حول شفاء المريض وبالطب العربي الذي كان سائدا في القرون الماضية. وهذا التمسك بالطب النبوي ظهر كثيرا في الآونة الأخيرة مع ظهور ما يعرف بالرقية، الحجامة والعلاج بالأعشاب بسبب انتشار هذا الطب في وسائل الإعلام البصرية بما فيها البرابول وأيضا الأنترنيت. وقد تكون هذه المفاهيم والتصورات التي يعتنقها المرضى سببا في عدم دفعهم لاستشارة الأطباء. ولا يمكن القول بأن أصحاب الريف هم الأكثر تمسكا بهذا الطب الشعبي، بل نجده حتى في الحضر نتيجة نقله من الريف إلى الحضر، وأيضا نتيجة رواجه في وسائل الإعلام وانتشاره في المدينة على يد مختصين في هذا المجال بطريقة قانونية أو غير قانونية، حيث يتاجرون في الأعشاب الطبية، يمارسون الحجامة والرقية. وعليه فإن مثل هذه الممارسات تعيق من وظائف النسق الطبي لأن المريض غالبا ما نجده يستعمل العلاج التقليدي والعلاج الرسمي في آن واحد هذا من جهة. ومن جهة ثانية يستعمل العلاج التقليدي فيتطور المرض وتتفاقم الحالة المرضية فيلجأ للطبيب فيفشل هذا الأخير في معالجة المرض. وهذا الانحراف نسجله خاصة في حالة الأمراض المزمنة والمستعصية. ففي هذه الحالة يمكن القول أن قلة الخبرة في استعمال الأعشاب الطبية يعيق من نشر التثقيف الصحي في المجتمع الجزائري. فتذهب جهود المختصين في هذا المجال سدا وتقل الثقافة الصحية لدى المريض. وإذا قلت فهذا يعني عدم تكيف النسق الطبي وعدم إنجازه للأهداف المسطرة، أي عدم إحداث ضبط اجتماعي. (فاطمة مساني، 2009، ص ص 410، 411، 412، 413). وفي هذا الصدد فإن أيمن مزاهرة، عصام حمدي الصفدي وليلى أبوحسين يرون أن "اتجاهات الناس وتصرفاتهم تجاه الصحة والمرض تتصف بالتعقيد والتنوع ولذلك يختلف الأفراد في تفسيرهم للأعراض المرضية التي يشعرون بها، وفي استجاباتهم للألم وفي اتجاهاتهم نحو الخدمات الصحية" (أيمن مزاهرة، عصام حمدي، ليلى أبو حسين، 2003، ص 137).

5-2- استخدام الوصفات الشعبية لعلاج المرض المزمن وعلاقته بالوعي الصحي لدى المريض:

لقد صادف معرفة وصفات شعبية لعلاج المرض المزمن قلة المعرفة الصحية عند مرضى، حيث أن التمسك بالعادات والتقاليد يقلل من وعي المرضى صحيا ويخفض من نسبة الثقافة الصحية، لأن هذه الأفكار والمعلومات التي يحملها المريض حول الوصفات الشعبية لعلاج المرض المزمن ما هي إلا مدركات ومعتقدات ومكون معرفي اكتسبه الفرد من خلال تنشئته الثقافية حول الأمور الصحية التقليدية وكيفية علاجه للمرض سواء من الوسط الأسري أو عن طريق ما اكتسبه من مرضى مصابين بنفس الأمراض. وهذا كله يشكل لدى الفرد المريض اتجاهات ومواقف مرتبطة بالصحة ومؤثرة في معلوماته ومعارفه الصحية.

استنادا على ما سبق ذكره، فإن الدراسة السابقة للباحثة كشفت بأن أغلبية المبحوثين يفتقرون لمعلومات صحية حول مرضهم المزمن، وذلك بنسبة تقدر بـ 65.67 % من مجموع المبحوثين. وإذا تعمقنا أكثر فإن الفئة الأقل معرفة صحية حول المرض المزمن هي الأكثر معرفة للوصفات الشعبية العلاجية للمرض المزمن، وذلك بنسبة تقدر بـ 66.85 % مقابل نسبة 33.15 % من المبحوثين توفرت لديهم معلومات صحية ويعرفون وصفات شعبية علاجية لمرضهم المزمن، حيث أن هذه الفئة يعززها المبحوثين الذين لديهم معرفة قليلة حول مرضهم المزمن بنسبة 21.91 % مقابل نسبة 11.24 % من المبحوثين لديهم معلومات ثرية حول المرض المزمن. وإذا تطرقنا إلى فئة المبحوثين الذين لا يعرفون وصفات شعبية لعلاج المرض المزمن، نجد من بينهم نسبة 63.94 % من المبحوثين لا تتوفر لديهم معلومات صحية مقابل نسبة 36.06 % من المبحوثين تتوفر لديهم معلومات صحية.

إن أغلب الوصفات الشعبية العلاجية التي يعرفها المرضى تمثلت في الوصفات الشعبية العلاجية البسيطة بالدرجة الأولى، وذلك بنسبة تقدر بـ 65.17 % من أصل 178 مبحوث يعرف وصفات شعبية علاجية. وفي هذا السياق، فإن الوصفات الشعبية التي ذكرها المرضى وصرحوا بها لعلاج داء السكري، الضغط الدموي والقلب هي على النحو التالي:

- الوصفات الشعبية لعلاج مرض السكر:

-العلايق لتخفيض نسبة السكر في الدم. - مرق الموز ، كسبر ومعدنوس تيزانا. - تغلية الشيح وشربه تيزانا. - العرعار كشكل تيزانا كأس في الصباح وكأس في المساء. - تناول اللوز المر. - تغلية عشبة المربوة وشربها كتيزانا. - خليط حب الصنوبر، زيت الزيتون وهذا لتخفيض نسبة السكر في الدم.

- إستعمال ورق الجوز والرمان كتيزانا. - تناول الحلبة. - ماء الفاصوليا مغلى ويشرب. - ورق الإكليل على شكل تيزانا. - تغلية كل من سلطنة الملوك، الكاردة (القرنون) والشيح وشربهم على شكل تيزانا.

- عشبة الجعيدة تغليتها وشرب كأس في الصباح وكأس في الليل. وهذا يعمل على تخفيض نسبة السكر في الدم. - تناول الزنجبيل. - استعمال سواء النبي. - شرب زيت الحبة السوداء. - تغلية عشبة شجرة مرين واستعمالها على شكل تيزانا. - تغلية ورق الزيتون. - تحميص السانوج وأكله. - تغلية الحلحال وتناوله على شكل تيزانا.

- الوصفات الشعبية لعلاج الضغط الدموي:

- تغلية النعناع وإستماله على شكل تيزانا. - وضع المعدنوس على شكل سلاطة. - وضع الثوم في الأذن وتحت اللسان وأكله بكمية معينة يعمل على تخفيض نسبة الضغط الدموي. - خليط العسل والحلبة. - تغلية عشبة الإكليل وشربه على شكل تيزانا. - تناول زيت الحبة السوداء. - تناول الزنجبل . - تغلية ورق الرند على شكل تيزانا. - تغلية العرعار على شكل تيزانا. - تغلية ورق المشماش على شكل تيزانا.

- تناول عصير القارس وحتى تغلية عشوره. - تغلية زريعة البسباس.

- الوصفات الشعبية لعلاج مرض القلب:

- خليط من العسل وزيت الزيتون. - خليط من الحلبة والعسل. - خليط من العسل، الحلبة والسانوج. - تناول زيت الزيتون. - شرب تيزانا من النعناع. - تغلية قشور الموز وإستعمالها على شكل تيزانا. - تناول فاكهة التفاح. - وضع عروق الصنوبر، الضرو والكروش في الماء مدة 3 أو 5 أيام وشربهم على شكل مشروب. - خليط من زيت الزيتون، العسل والحلبة. - عشبة شندقورة على شكل تيزانا.

كما تبين من الدراسة السابقة على أن المبحوثين غير المنفذين لتعليمات وتوصيات الطبيب بنسبة 61.67 % من أصل 300 مريض مبحوث مقابل نسبة 38.33 % من المبحوثين ينفذون تعليمات الطبيب. وقد عززت النسبة الأولى من طرف المرضى الممارسين لوصفات شعبية علاجية بنسبة تقدر بـ 67.97 % مقابل نسبة 32.03 % من المبحوثين ينفذون تعليمات الطبيب.

أما بالنسبة للمبحوثين غير الممارسين للوصفات الشعبية، فنجد من بينهم: نسبة تقدر بـ 55.10 % من المبحوثين لا ينفذون تعليمات الطبيب مقابل نسبة 44.90 % من المبحوثين ينفذون تعليمات الطبيب. وفي هذا الصدد نجد أن أغلبية المبحوثين الذين لجئوا إلى استخدام وممارسة الوصفات الشعبية كان عن طريق التقليد من الأجداد.

وبينت الدراسة أن كبار السن أكثر حديثا عن الوصفات الشعبية لعلاج مرضهم المزمن داء السكري، الضغط الدموي والقلب. فالمريضة تعطي وصفة علاجية شعبية لمريضة أخرى كالتي تقول لمريضة مثلها عرفتها في المستشفى "أحكي الكليل وغليه وأشربي كاس في الصباح وكاس في الليل تحسي روحك مليحة ويحبطلك السكر خير من تديري الأنسولين". ومريضة أخرى تقول "أجدادنا باش كانو يداووا ما يعرفو ني طبيب ني والوا يداوا بالأعشاب برك". وأخرى تحكي حكايتها، حيث تقول "أقعدت في المستشفى 20 يوم ودخلت الكومة وبفضل مريضة أخرى كونت لي خليط من لعشاب الطبية تناولتها فبدات حالتي تتحسن فإندهش الطبيب وقال لي أعطينا الوصفة". وهذه اعترافات المرضى عن فعالية الطب الشعبي التقليدي محاولين بذلك إنتاج ثقافة شعبية تقليدية حول الأعشاب الطبية.

انطلاقا مما سبق ذكره، فإن المرضى المصابين بمرض مزمن في بداية مرضهم يستشيرون الأطباء نتيجة وصول صحتهم إلى حد خطير وتستمر هذه المتابعة زمنا معتبرا تتبعها رغبة وإرادة من طرفهم وأسرتهم في التعاون مع الطبيب وتنفيذ تعليماته. ومع استمرارية المرض شهورا عديدة تبدأ تقل رغبتهم وينتابهم الكره والروتين اليومي للأطباء، الأدوية والتحاليل الطبية...الخ. ومع معايشتهم المرض وغزو بعض الأفكار، التصورات والاعتقادات على تفكيرهم واستشارة مرضى أمثالهم يبحثون عن بدائل علاجية أخرى. وقد يكون البديل الفعال حسب اعتقادهم وإيمانهم هو الطب الشعبي والوصفات الشعبية التقليدية. ونتيجة لذلك، يجربون هذه الطرق وقد يجدون راحتهم النفسية في ذلك، لأنهم يؤمنون ويعتقدون بأن هذا العلاج نافع ولا يضرهم، لأن أجدادهم قد مارسوه. ويزيد إيمانهم بهذا العلاج إذا سمعوا حقا أن مريضا آخر مثلهم مارس هذه الوصفات وقد تحسنت حالته المرضية خاصة في الأمراض المزمنة. وفي هذا الصدد صادفنا عدة حالات في قاعة الانتظار يحكين عن فاعلية الطب الشعبي. فتقول مريضة لمريضة أخرى " أشربي الشيح كاس في الصباح وكاس في العشية يحبطلك السكر وتحبسي الدوا". فنشر وإرشاد الناس بتجريب العادات الشعبية هي سمة من سمات نشر الثقافة الشعبية في أوساط المرضى. فالتنشئة الثقافية الصحية للمرضى تؤثر تأثيرا سلبيا في نشر الثقافة الصحية لدى المريض وترجمتها إلى ممارسات صحية مستحبة من السلوك في نظام الحياة. وكما هو معروف فإن الحياة الجديدة للمرضى المصابين بالأمراض المزمنة كداء السكري، الضغط الدموي والقلب تفرض عليهم إحداث تغيرات جذرية في نظام حياتهم بتغيير بعض عاداتهم وتقاليدهم غير الصحية وغير المناسبة لصحتهم وإحداث نوع من التغيرات في نمط معيشتهم من حيث الأكل، العمل وحتى في الجانب النفسي.

وفي هذا المجال يمكن التنبؤ بظهور واسع لهذا العلاج الذي سوف ينافس الطب الحديث الذي تقل فعاليته إذا حدث ذلك. وهذا يدل على رفض المرضى للنسق الطبي وإتباع الطب الشعبي والوصفات التقليدية. وهذه الممارسات الأخيرة تعيق من فعالية التثقيف الصحي ونشره، وحتى الوعي الصحي في المجتمع الجزائري. وكما هو معروف المريض يجرب أي شيء يقال له بأنه نافع لصحته دون معرفة الأضرار الناتجة عن هذا التصرف. إذ تكون له رغبة أكيدة وهو راض كل الرضا على التمسك بهذه العادات.

ويمكن القول أن هذه التصرفات أسبابها ثقافية، كما أن لها أسباب اجتماعية واقتصادية، فالأسرة تعمل على نقل تراثها الثقافي وتنشئة مريضها من خلال ممارستها في الوسط الأسري لوصفات شعبية تقليدية، إذ أن أسر أغلبية المبحوثين يستخدمون طرق بدائية لعلاج المرض ورعاية مرضاهم، حيث صرح بعض المرضى بأن التوارث عن طريق الأجداد والآباء هو سبب استعمال هذه الوصفات الطبية كقول هذه المريضة "أورثنا هذو لعشاب من جدادنا". (فاطمة مساني، 2009، ص 417، 418، 419).

وقد نجد أن العامل الاقتصادي له دور فعال في اللجوء إلى هذا العلاج وعدم التعاون مع الطبيب في تنفيذ نصائحه وتوصياته، فانخفاض المستوى المعيشي للفرد الجزائري عامة والمريض المصاب بمرض مزمن خاصة يحدد له نوعية الممارسات المتبعة، حيث أن الناس يستجيبون للمرض إستنادا على العوامل الثقافية والاجتماعية. وفي هذا الصدد أوضح علي المكاوي في مؤلفه الجوانب الاجتماعية والثقافية للخدمة الصحية بأن الثقافة هي "مجموعة من العناصر التي تمارس تأثيرها على الصحة والمرض، وتحكم تصرفات الإنسان من خلال التوجهات السلوكية التي تتضمنها، فهي تتخلل معظم صور السلوك الإنساني في العادات الاجتماعية وعادات النظافة والتربية (...) وغيرها من العناصر التي تحض على الحفاظ على الصحة ومعالجة المرض"(علي المكاوي، 1988، ص ص 296-297). كما يعتبر "اللجوء إلى الطب الشعبي في العديد من الأحوال منها ملجأ ابتدائيا للتهدئة حتى يتم التصرف النهائي للمرض أو ملاذا بالنسبة لبعض الأمراض المزمنة أو المستعصية كالسرطان مثلا، أو للأمراض التي لم يجدي تشخيصها. وفي هذه الحالات يصبح المريض يدور في حلقة مفرغة بين الطب الرسمي والشعبي طارقا كافة الأبواب"(أيمن مزاهرة، عصام حمدي الصفدي، ليلى أبو حسين، 2003، ص 160).

وكخلاصة لما قيل آنفا، فإن لجوء المرضى لأساليب الطب الشعبي والوصفات التقليدية في حالة الأمراض المزمنة سببه قلق وتور المرضى على صحتهم والحرص على الاستشفاء السريع لحالتهم المرضية.

خاتمة:

من خلال العرض السابق نرى بأن الثقافة وما تتضمنه من عادات، تقاليد، قيم ومواقف صحية إحدى العناصر الأساسية ذات الأهمية البارزة في مجال الصحة والمرض، هي الموجه الرئيسي لسلوك وتصرفات الأفراد اتجاه صحتهم، حيث أن الثقافة تؤثر في نشر التربية الصحية. وتعتبر ممارسة الأعشاب الطبية من الإرث الثقافي الذي توارثته الأجيال، حيث أن هناك إعادة لإنتاج لمثل هذه الثقافة التقليدية، حيث أن معظم المرضى متمسكين بهذه الثقافة باعتبارها بدائل علاجية لا تكلف كثيرا. ولهذا فإن الإيمان بفعالية الطب الشعبي له علاقة بتنفيذ إرشادات الطبيب المعالج وبالوعي الصحي لدى المرضى خاصة مرضى الأمراض المزمنة كداء السكري، الضغط الدموي والقلب. إذ أن مجموعة كبيرة من المرضى لها إيمان قوي بفعالية الطب الشعبي، حيث يرجعون أسباب ذلك إلى النتائج المضمونة في استخدام هذا النوع من العلاج.

الهوامش:

1-أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، إنجليزي، فرنسي، عربي، مكتبة لبنان، بيروت، 1977.

2- أيمن مزاهرة، عصام حمدي، ليلى أبو حسين، علم اجتماع الصحة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

3-إبراهيم مذكور، معجم العلوم الإجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1975.

4-إحسان علي محاسنة، البيئة و الصحة العامة، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان،.1991

5- الوحيشي أحمد بيري، عبد السلام بشير الدويبي، مقدمة في علم الاجتماع الطبي، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، طرابلس، ط1، 1989.

6- جمال مثقال القاسم، علم النفس التربوي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2000.

7- سعاد عثمان، نجوى عبد الحميد سواس، فوزي عبد الرحمان، الصحة والمرض وجهة نظر علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1999.

8- سرور أسعد منصور، الصحة والمجتمع، الدار العربية للكتاب،ليبيا،تونس،السنة غير مذكورة.

9- عبد الرحمان عيسوي، في الصحة النفسية والعقلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1992.

10- علي المكاوي، علم الإجتماع الطبي، مدخل نظري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.

11- على المكاوي، الجوانب الاجتماعية والثقافية للخدمة الصحية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1988.

12- محمد علي محمد، سناء الخولي وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1983.

13- منظمة الصحة العالمية، إستراتيجية منظمة الصحة العالمية في الطب التقليدي (الشعبي) 2014-2023، جنيف، 2013.

14- نادية محمد السيد عمر، علم الاجتماع الطبي، المفهوم والمجالات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987.

15- ناتاليا يفريموفا، توفيق سلوم، معجم العلوم الإجتماعية، مصطلحات وأعلام، روسي، إنجليزي، عربي، موسكو، بيروت، 1992.

16- فاطمة مساني، الثقافة الصحية لدى المرضى المصابين بالأمراض المزمنة في الجزائر، دراسة ميدانية لعينة من المرضى المصابين بداء السكري، الضغط الدموي وأمراض القلب، أطروحة دكتوراه، قسم علم الإجتماع، جامعة الجزائر، 2008_2009.

17- Andre Domart et Jacques Bourneuf, Petit Larousse de la Médecine, Librairie Larousse, Paris, 1983.

18- منظمة الصحة العالمية، الطب التقليدي (الشعبي): تعاريف، مأخوذة من موقع: http://www.who.int/topics/traditional_medicine/definitions/ar

19- http://www.who.int/suggestions/faq/ar